موجز في تفسير سورة الرّحمن

عروسُ القرآن

إعداد: سليمان بيضون

*** سورةُ (الرّحمن) هي السُّورة الخامسة والخَمسون في ترتيب سُوَر المُصحف الشّريف، نزلتْ بعد سورة (الرّعد).**
*** آياتُها ثمانٍ وسبعون، وهي مَدَنيّة، وقيل: مكّيّة، مَن قرأها رَحِم اللهُ ضَعفه، وأدّى شُكرَ ما أنعم اللهُ عليه.**
*** سُمّيت بـ (سورة الرّحمن) لابتدائها بقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾.**

جاء في «مجمع البيان» للفضل بن الحسن الطّبَرسيّ (ت ٥٤٨ هـ)، عن الإمام الكاظم عليه السلام، عن آبائه عليهم السّلام، عن النّبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «**لِكُلِّ شَيْءٍ عَروسٌ وَعَروسُ القُرْآنِ سورَةُ الرَّحْمَن**».

محتوى السّورة

«**تفسير الميزان**»: تتضمّن السّورة الإشارةَ إلى خلقه تعالى العالَمَ بأجزائه؛ من سماء، وأرض، وبرّ، وبحر، وإنس، وجنّ، ونَظمِ أجزائه نظماً ينتفع به الثّقَلان - الإنس والجنّ - في حياتهما، وينقسم بذلك العالم إلى نشأتين: نشأة دنيا ستفنى بفناء أهلها، ونشأة أخرى باقية تتميّز فيها السّعادة من الشّقاء، والنّعمة من النّقمة. وبذلك يظهر أنّ دار الوجود من دنياها وآخرتها ذاتُ نظام واحد مؤتلِف الأجزاء، مرتبط الأبعاض، قويم الأركان، يصلح بعضُه ببعض، ويتمّ شطرٌ منه بشطر، ما فيه من عين وأثر [فهو] من نعَمه تعالى وآلائه، ولذا يستفهمُهم مرّةً بعد مرّة استفهاماً مَشوباً بعتاب بقوله: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. فقد كُرّرت الآية في السّورة إحدى وثلاثين مرّة. ولذلك افتُتحت السّورة بذكره تعالى بصفة رحمته العامّة، الشّاملة للمؤمن والكافر، والدّنيا والآخرة. واختُتمت بالثّناء عليه بقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱسۡمُ رَبِّكَ ذِي ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ﴾ الآية:٧٨.

«**تفسير الأمثل**»: إنّنا نستطيع أن نقسّم محتويات السّورة إلى عدّة أقسام:

القسم الأوّل: يشمل أوّل آيات السّورة، حيث الحديث عن النّعم الإلهيّة الكبيرة، سواء تلك التي تتعلّق بخلق الإنسان، أو تربيته وتعليمه، أو الحساب والميزان.

القسم الثّاني: يتناول توضيح مسألة خلْق الإنس والجنّ.

القسم الثّالث: يتضمّن توضيح الآيات والدّلائل الإلهيّة في الأرض والسّماء.

القسم الرّابع: وفيه - بعد تجاوز النّعم الإلهيّة على الإنسان في الدّنيا - تتحدّث الآيات عن نِعم الله في عالم الآخرة، خاصّة عن الجنّة، وبصورة أعمّ وأشمل عن البساتين، والعيون، والفاكهة، وحور العين، وأنواع الملابس من السّندس والإستبرق..

وأخيراً، في القسم الخامس نلاحظ الحديث باختصار عن مصير المجرمين وجزائهم المؤلم "..".

ثواب تلاوتها

عن النّبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «**مَنْ قَرَأَ سورَةَ الرَّحْمَنِ رَحِمَ اللهُ ضَعْفَهُ، وَأَدّى شُكْرَ ما أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ**».

عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: «**لا تدَعوا قِراءَةَ سورَةِ الرَّحْمَنِ وَالقِيامَ بِها، فَإِنَّها لا تَقرُّ في قُلوبِ المُنافِقينَ، وَيَأْتي بِها رَبُّها يَوْمَ القِيامَةِ في صورَةِ آدَمِيٍّ في أَحْسَنِ صورَةٍ وَأَطْيَبِ ريحٍ حَتّى يَقِفَ مِنَ اللهِ مَوْقِفاً لا يَكونُ أَحَدٌ أَقْرَبَ إِلى اللهِ مِنْها (منه)، فَيَقولُ لَها: مَنِ الّذي كانَ يَقومُ بِكِ في الحَياةِ الدُّنْيا وَيُدْمِنُ قِراءَتَكِ؟ فَتَقولُ: يا رَبِّ فُلانٌ وَفُلانٌ، فَتَبْيَضُّ وُجوهُهُمْ**"..".

تفسير آيات منها

«**تفسير نور الثقلين**»:

قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ الآية:٤.

الإمام الصّادق عليه السلام: «**البَيانُ، الاسْمُ الأَعْظَمُ الّذي بِهِ عِلْمُ كُلِّ (عَلِمَ كُلَّ)شَيْءٍ**».

قوله تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ الآيات: ١٣..٧٧.

- الإمام الصّادق عليه السلام: «**مَنْ قَرَأَ سورَةَ الرَّحْمَنِ فَقالَ عِنْدَ كُلِّ**

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بِشَيْءٍ مِنْ آلائِكَ رَبِّي أُكَذِّبُ، فَإِنْ قَرَأَها لَيْلاً ثُمَّ ماتَ ماتَ شَهيداً، وَإِنْ قَرَأَها نَهاراً فَماتَ ماتَ شَهيداً».

– وعنه عليه السّلام: «مَنْ قَرَأَ سورَةَ الرَّحْمَنِ لَيْلاً يَقولُ عِنْدَ كُلِّ ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ لا بِشَيْءٍ مِنْ آلائِكَ رَبِّي أُكَذِّبُ، وَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكاً إِنْ قَرَأَها مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ يَحْفَظُهُ حَتّى يُصْبِحَ، وَإِنْ قَرَأَها حينَ يُصْبِحُ وَكَّلَ اللهُ بِهِ مَلَكاً يَحْفَظُهُ حَتّى يُمْسِيَ».

قوله تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ الآية:٢٧.

– الإمام السّجّاد عليه السلام: «نَحْنُ الوَجْهُ الّذي يُؤتى اللهُ مِنْهُ».

– الإمام الرّضا عليه السلام: «.. مَنْ وَصَفَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ بِوَجْهٍ كَالوُجوهِ فَقَدْ كَفَرَ، وَلَكِنَّ وَجْهَ اللهِ أَنْبياؤُهُ وَحُجَجُهُ، صَلَواتُ اللهِ عَلَيْهِمُ الّذينَ بِهِمْ يُتَوَجَّهُ إِلى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِلى دينِهِ وَمَعْرِفَتِهِ..».

قوله تعالى: ﴿..كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ الآية:٢٩.

– النّبيّ صلى الله عليه وآله: «مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْباً وَيُفَرِّجَ كَرْباً، وَيَرْفَعَ قَوْماً وَيَضَعَ آخَرينَ».

– من خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام: «الحَمْدُ للهِ الّذي لا يَموتُ وَلا تَنْقَضي عَجائِبُهُ، لِأَنَّهُ، كُلَّ يَوْمٍ، هُوَ في شَأْنٍ مِنْ إِحْداثِ بَديعٍ لَمْ يَكُنْ».

قوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ الآية:٣٩.

الإمام الرّضا عليه السلام: «إِنَّ مَنِ اعْتَقَدَ الحَقَّ ثُمَّ أَذْنَبَ وَلَمْ يَتُبْ في الدُّنْيا عُذِّبَ عَلَيْهِ في البَرْزَخِ، وَيَخْرُجُ يَوْمَ القِيامَةِ وَلَيْسَ لَهُ ذَنْبٌ يُسْأَلُ عَنْهُ».

قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ الآية:٤٦.

– في حديث مناهي النّبيّ صلى الله عليه وآله: «.. وَمَنْ عَرَضَتْ لَهُ فاحِشَةٌ أَوْ شَهْوَةٌ فَاجْتَنَبَها مِنْ مَخافَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَرَّمَ عَلَيْهِ النّارَ وَآمَنَهُ مِنَ الفَزَعِ الأَكْبَرِ، وَأَنْجَزَ لَهُ ما وَعَدَهُ في كِتابِهِ».

– الإمام الصّادق عليه السلام: «مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللهَ يَراهُ وَيَسْمَعُ ما يَقولُهُ وَيَفْعَلُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَيَحْجُزُهُ ذَلِكَ عَنِ القَبيحِ مِنَ الأَعْمالِ، فَذَلِكَ الّذي خافَ مَقامَ رَبِّهِ..».

قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ الآية:٦٠.

الإمام الصّادق عليه السلام: «إِنَّ هَذِهِ الآيَةَ جَرَتْ في الكافِرِ وَالمُؤْمِنِ، وَالبَرِّ وَالفاجِرِ؛ مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْروفٌ فَعَلَيْهِ أَنْ يُكافِئَ بِهِ. وَلَيْسَ المُكافاةُ أَنْ تَصْنَعَ كَما صَنَعَ حَتّى تُرْبِيَ، فَإِنْ صَنَعْتَ كَما صَنَعَ كانَ لَهُ الفَضْلُ بِالابْتِداءِ».

قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ الآية:٦٨.

الإمام الصّادق عليه السلام: «الفاكِهَةُ مائَةٌ وَعِشرونَ لَوْناً سَيِّدُها الرُّمّانُ».

قوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ الآية:٧٠.

– النّبيّ صلى الله عليه وآله: «نِساءٌ خَيِّراتُ الأَخْلاقِ حِسانُ الوُجوهِ».

– الإمام الصّادق عليه السلام: «هُنَّ صوالِحُ المُؤْمِناتِ العارِفاتِ».

«مَنْ قَرَأَ سورَةَ الرَّحْمَنِ، رَحِمَ اللهُ ضَعْفَهُ، وَأَدّى شُكْرَ ما أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ».

رسول الله صلى الله عليه وآله

«لا تَدَعوا قِراءَةَ سورَةِ الرَّحْمَنِ وَالقِيامَ بِها، فَإِنَّها لا تَقَرُّ في قُلوبِ المُنافِقينَ..».

الإمام الصادق عليه السلام

من الإعجاز البيانيّ في القرآن الكريم
فروقٌ لغويّة في الكتاب المجيد

السّيّد عبّاس أبو الحسن*

وصفَ الله سبحانه وتعالى كتابَه في غير آيةٍ منه بـ «الحكيم»، ومُقتضى هذه الحكمة وضعُ كلّ كلمةٍ فيه في موضعها الذي لا تشاركُها فيه غيرها من الألفاظ، وإنْ بدَتْ مشابهةً لها في المعنى.
وفي هذا الباب من أبواب الإعجاز القرآنيّ اللّفظيّ كانت هذه المقالة التي نُوردها مختصرة نقلاً عن مجلّة رسالة النّجف الأشرف.

فيما نحن نتلو آياتِ الكتاب المجيد ونتدبّر فيه، تستوقفُنا آياتٌ نظنُّها للوهلة الأولى تتشابه معانيها، وذلك لتشابه كلماتها، أو لتَرادفها على بعض الأقوال. ولكن بعد البحث عن تفسيرها يتبيّن أنّ كلّ آية وكلّ كلمة في كتاب الله لها معنىً مختلف، ونستطيع أن نرجّح الرّأي القائل بأنَّ التّرادف في كلمات اللّغة العربيّة قليلٌ إلى حدّ النّدرة، وقد اخترنا ثلاثة نماذج من هذه الآيات:

الفرق بين الأرض الهامدة والأرض الخاشعة

قال تعالى في سورة الحجّ الآية ٥: ﴿..وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٍ﴾.

وقال سبحانه في سورة فصّلت الآية ٣٩: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾.

هنا يرد سؤال: لماذا أتى في سورة الحجّ بكلمة «هامدة»، وأتى في سورة فصّلت بكلمة «خاشعة»؟ فهل المعنى واحد، أم يوجد فرق بين المعنيَين؟ وعلى فرض ثبوت الفرق بينهما، فما الذي سبّب هذا الاختلاف في التّعبير؟

يمكن الجواب: بأنّ هناك فرقًا بين الأرض الهامدة والأرض الخاشعة. فـ «هامدة» أصلُها هَمَدَ، والهَمْدَةُ السَّكْتَة. فيُقال هَمَدت أصواتُهم أي سَكَنَتْ. وهمدتِ النّار أي ذهبت البتّة فلم يَبِنْ لها أثر. ونباتٌ هامد أي يابس، وهمدَ شجرُ الأرض أي بَلِيَ وذهب، والأرض الهامدة أي الجافّة التي لا نبات فيها.

و«خاشعة»، من الخشوع، أي التّذلّل والانكسار، وأرض خاشعة أي متهشّمة ومتغبّرة ذابلة من العطش، فإذا يبست الأرض ولم تُمطَر قيل: قد خشعت.

ومن هنا يُعلم أنّ هناك فرقًا دقيقًا بين الأرض الهامدة والأرض الخاشعة، فالأرض الهامدة هي اليابسة القاحلة التي لا حياة فيها بسبب ما أصابها من جدب وقحط وانعدام الماء، وهذا بخلاف الأرض الخاشعة التي يوجد فيها النّباتات والزّروع، إلّا أنّ العطش وقلّة الماء وندرة الأمطار جعلتها مصفرّة الأوراق، خاشعة ذليلة، ذابلة الأغصان.

فيكون المعنى في سورة الحجّ: ﴿..وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةً ..﴾ أي ميتةً لا حياةَ فيها، ﴿..فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ ..﴾ وحلّت بها الحياة.

أمّا في سورة فصّلت فيكون المعنى ﴿تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ أي ساكنة يابسة وذابلة من العطش ﴿..فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ ..﴾.

فإذًا: تغيّر الكلمات يبيّن أنّ هناك فرقًا بين المعنيَين، والذي يؤيد هذا الاختلافَ أنّ السّياق الذي أتت فيه كلٌّ من الكلمتين مخالفٌ للسّياق الآخر. فانظر كلمة «هامدة» وانظر ما قبلها من الكلمات والآيات:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ..﴾ إلى قوله تعالى ﴿..وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ

* عالم دين من لبنان

إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ الحج:٥-٦.

فهذه الآيات المباركات تتحدّث عن يوم القيامة، وجدال المنافقين والكافرين الذين يُنكرون يوم البعث بأنّه كيف يتمّ إحياء النّاس بعد صيرورتهم رمادًا؟ فخاطبَهم اللهُ تعالى بأنّ الذي خلق الانسان من تراب ثمّ من نُطفة، ثمّ من علَقَة، ثمّ من مُضغَة، قادرٌ على إحيائه في يوم القيامة، فناسب أن يأتي بكلمة هامدة لدلالتها على الموت والسّكون. وهذا بخلاف الآيات في سورة فصّلت:

﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ ..﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ الآيات:٣٧-٣٩. فإنّ الآيات تتحدّث عن العبادة والخشوع والتّذلّل لله سبحانه وتعالى، فناسب ذكر كلمة خاشعة لدلالتها على ذلك.

الحقّ، والحقّ المعلوم

قال تعالى في سورة الذّاريات الآية ١٩: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾.

وقال تعالى في سورة المعارج الآيتان ٢٤-٢٥: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

لماذا زاد سبحانه في سورة المعارج كلمة «معلوم» دون سورة الذّاريات؟

يمكن الجواب: أنّه بالتّأمّل في سياق الآيات السابقة في كلٍّ من هاتَين الآيتَين يتّضح الفرق، ففي سورة الذّاريات الكلام حول المتّقين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَبۡلَ ذَٰلِكَ مُحۡسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ الآيات:١٥-١٩. والمتّقون أعلى درجة من المؤمنين، فإنّهم ينفقون ما أوجبه الله عليهم مع زيادة، لذلك قال الله عنهم: ﴿وَفِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ ..﴾، ولكن هذا الحقّ ليس له حدّ معلوم.

وهذا بخلاف المصلّين الذين يدفعون ما فُرض عليهم من الواجب من الزّكاة والخمس والصّدقات، قال تعالى في سورة المعارج: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعٗا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ حَقّٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ ﴾ الآيات:١٩-٢٥.

خَشْيَةَ إِمْلَاق

قال تعالى في سورة الأنعام ١٥١: ﴿قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ ..﴾.

وقال سبحانه تعالى في سورة الإسراء٣١: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ خَشۡيَةَ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡۚ إِنَّ قَتۡلَهُمۡ كَانَ خِطۡـٔٗا كَبِيرٗا ﴾.

نجدُ في هاتَين الآيتَين تقاربًا في المعنى، ولكن هناك بعض الفوارق، مثلاً: في سورة الأنعام قال تعالى: ﴿..نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ..﴾ حيث قدّم رزق الآباء على الأولاد، أما في سورة الإسراء فقال عزّ وجلّ: ﴿..نَرۡزُقُهُمۡ وَإِيَّاكُمۡ..﴾ حيث قدّم رزق الأولاد على الآباء، فما السرّ في ذلك؟

تستوقفُنا آياتٌ نظنُّها للوهلة الأولى تتشابه معانيها، وذلك لتشابه كلماتها، أو لتَرادفها على بعض الأقوال. ولكن بعد البحث عن تفسيرها يتبيّن أنّ كلّ آية وكلّ كلمة في كتاب الله لها معنًى مختلف.

وقال تعالى: ﴿.. وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ مِّنْ إِمْلَٰقٍ ..﴾، بينما قال في سورة الإسراء: ﴿..خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ..﴾، أضف إلى ذلك أن الإملاق هو الفقر، فلماذا لم يقل سبحانه وتعالى: «ولا تقتلوا أولادكم من فقر»؟، ولماذا قال تعالى في سورة الإسراء ﴿..خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ..﴾، ولم يقل «خوف إملاق»؟

يمكن الجواب: أنّ الآيتَين وإن كانتا تتحدّثان عن حُرمة قتل الأولاد الذكور والإناث، إلّا أنّ السبب في كلّ واحدةٍ منها مختلفٌ عن الآخر، وبعبارة أخرى: إنّ الدافع للقتل في سورة الأنعام غيره في سورة الإسراء، وهذا الاختلاف الذي سيتبيّن يقتضي تغيّرًا في التعبير.

شرحُ الألفاظ

- **الإملاق**: هو الافتقار، وإتلافُ المال حتّى يُحوج، وأصلُ الإملاق الإنفاق. يُقال: أملقَ ما معَه إملاقًا، إذا أخرجَه من يدِه ولم يَحبِسه، والفقرُ تابعٌ لذلك، فاستعملوا لفظَ السّببِ في موضع المسبَّب حتّى صار به أشهر... والإملاق: كثرةُ إنفاق المال وتبذيرُه حتّى يورثَ حاجة.

- **الخَشْيَة**: خوفٌ يَشوبُه تعظيم، وأكثرُ ما يكون ذلك عن علمٍ بما يُخشى منه، ولذلك خُصَّ العلماءُ بها في قوله تعالى: ﴿..إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ..﴾ فاطر:٢٨.

- **الخَوف**: توقُّع مكروهٍ عن أَمارةٍ مظنونة أو معلومة.

بعدما تبيّن من معنى هذه الالفاظ نأتي للجواب عن التساؤلات السابقة:

أوّلاً: إنما قدّم ذكر الآباء على الأولاد في سورة الأنعام: ﴿..نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ..﴾ لأنّ الخطابَ موجّهٌ للفقراء لا للأغنياء: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ..﴾، أي لا تقتلوا أولادكم بسبب الفقر.

فهم فعلاً مبتلون بالفقر، وعمدوا لقتل أولادهم لعدم قدرتهم على تربيتهم حسب زعمهم، فناسب هنا أن يقدّم سبحانه تكفُّلَه برزقهم أوّلاً لفقرهم، ثم أتبعَه بتكفّله برزق أولادهم.

أما في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾، هنا الخطاب موجّهٌ للأغنياء، والدليل على ذلك الآيات السابقة لهذه الآية، حيث يدور الكلام حول الإسراف والتبذير، قال تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ الإسراء:٢٦ إلى آخر الآية ٣٠.

فإن الأغنياء يخشون أن يسلبَهم أولادُهم ما في أيديهم من مال، فلذلك يعمدون إلى قَتْلِهم خوفَ الوقوع في الفقر، فناسبَ هنا تقديمَ الأولاد على الآباء ليُبيّنَ اللهُ لهم أنّ ما تَخافون منهم هو بيَد الله، فإنّ الأولاد رِزقُهم على الله لا عليكم، وكذلك رزقُكم.

ثانيًا: قد ناسب في هذا السياق استعمال لفظة «الإملاق» دون «الفقر»؛ لأنّه سبحانه وتعالى قد تكفّل في الآيتَين برزق الآباء والأبناء، ولمّا كانت الحاجة الضرورية ممتنعة بعدَ أن تكفّلَ اللهُ سبحانه وتعالى بسدّها، فلا يُتصوّر الفقر إذن إلّا من جهة سوء التصرّف في الثروة، وإن قلّتْ، أو سوء توزيعها؛ أو من جهة بلاء وامتحان.

ومن هنا جاء استعمال لفظة «الإملاق» لأنّها تُفيد إخراج ما في اليد من مال، أي أنّ الرزق موجودٌ تكفّلَ به سبحانه، إلّا أنّ صرفَه وإنفاقَه وتوزيعَه، وإن قلّ، يعود إلى الأبوَين أو إلى النظام الذي وجدا فيه. فالفقر في حقيقته هو المسبَّب والإملاق.

الأرض الهامدة أي الجافّة التي لا نبات فيها.
وأرض خاشعة أي متهشّمة ومتغبّرة ذابلة من العطش.

الخَشْيَة: خوفٌ يَشوبُه تعظيم، وأكثرُ ما يكون ذلك عن علمٍ بما يُخشى منه.